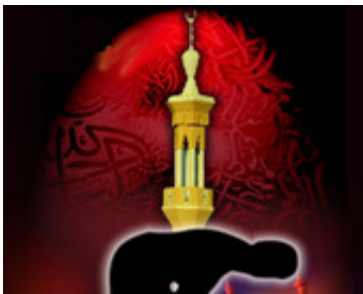


حديث : ألا أدلك على أبواب الخير

12:49:06 2006-11-07 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن **معاذ بن جبل** رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويباعدني من النار ، قال : (**لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله لا تُشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت**) ثم قال له : (**ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل**) ، ثم تلا : { **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** } حتى بلغ : { **يعملون** } (السجدة : 16 - 17) ، ثم قال : (**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟**) ، قلت : بلى يا رسول الله . قال : (**رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد**) ، ثم قال : (**ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟**) قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه ثم قال : (**كفّ عليك هذا**) ، قلت : يا نبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ ، فقال : (**ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟**) رواه **الترمذي** وقال : حديث حسن صحيح

الشرح

امتاز الصحابي الجليل **معاذ بن جبل** رضي الله عنه على غيره من أقرانه بما آتاه الله من الفهم الثاقب لتعاليم هذا الدين ، بل بلغ رتبة لم يبلغها أحد في هذا المجال ، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بعلمه فقال عنه : (**... وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل**) رواه **أحمد** . وهذا العلم الذي حباه الله به قد أثمر في قلبه الشوق إلى لقاء ربه ، ودخول جنات النعيم ، وذلك هو ما أهم **معاذ** وأسهره الليالي ، ولقد نقلت لنا كتب السير هذا المشهد ، ولنقصه كما رواه لنا **معاذ** نفسه ، حيث قال : " لما رأيت خلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه قلت له : يا رسول الله ، انذن لي أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقممتني وأحزننتني ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : (**سلني عما شئت**) ، قال : يا نبي الله ، حدثني بعمل يدخلني الجنة - وفي رواية : ويبعدني من النار - لا أسألك عن شيء غيرها " .

لقد سأل **معاذ** رضي الله عنه هذا السؤال ، وهو يعلم أن الجنة لا تتال بالأماني ، ولكن بالجِدِّ والعمل الصالح ، وقد تكفل الله تعالى بتيسير الطريق وتذليل عقباته لمن أراد أن يسلكه حقاً ، فإذا أقبل العبد على ربه يسر له سبل مرضاته ، وأعانته على طاعته ، وهذا هو مقتضى قوله تعالى : { **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** } (محمد : 17) ، وكذلك قوله : { **فأما من أعطى واتقى ، وصنق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى** } (الليل : 5 - 7) .

وأصل الأعمال الصالحة : الإتيان بأركان الإسلام ، فتوحيد الله جلّ وعلا هو أساس قبول الأعمال ، والصلاة والزكاة والحج : من أركان الإسلام التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يقوم بها ، وقد تم بسط الكلام عنها في مواضع سابقة تغني عن إعادتها هنا .

وبعد أن بين النبي صلى الله عليه وسلم أن دخول الجنة مترتب على الإتيان بتلك الأركان ، أراد أن يكافي **معاذ** رضي الله عنه على سؤاله العظيم ، فدله على أبواب أخرى للخير .

فمن تلك الأبواب : صيام التطوع ، كما جاء في هذا الحديث : **(والصوم جنة)** ، والجنة هي ما تحصل به الوقاية ، فالصيام جنة للعبد من المعاصي في الدنيا ، وهو جنة للعبد من النار يوم القيامة ؛ لأن العبد إذا صام لله تعالى يوما : باعده الله من النار سبعين خريفا ، كما جاء في الحديث ؛ ولهذا يستحب للعبد أن يستزيد من صيام النوافل كيوم عاشوراء ، ويوم عرفة ، ويومي الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر ، إلى غير ذلك مما ورد في السنة .

ومن أبواب الخير : صدقة التطوع ، وفضل هذه الصدقة عظيم ؛ فإنها سبب لتكفير الذنوب وإزالتها ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم تكفيرها للذنوب بالماء إذا صب على النار ، فإنه يطفئها ويذهب لهيبها ، وليس ذلك فحسب ، بل إنها تفيد صاحبها في عرصات يوم القيامة وتخفف عنه حر ذلك اليوم ، روى الإمام أحمد في مسنده عن **عقبة بن عامر** رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس)** ، والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة معلومة .

أما ثالث أبواب الخير التي دلّ عليه الحديث فهو قيام الليل ، إنه شرف المؤمن ، وسلوة المحزون ، وخلوة المشتاق إلى ربه ، وما بالك بعد يؤثر لذة مناجاة ربه ودعائه على النوم في الفراش الدافئ ، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : **(عجب ربنا من رجلين - أحدهما - : رجل ثار عن وطنه ولحافه ، ومن بين أهله وحيه إلى صلاته ، فيقول ربنا : أيا ملانكتي ، انظروا إلى عبي ثار من فراشه ووطنه ، ومن بين حيّه وأهله إلى صلاته ؛ رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي)** رواه أحمد في مسنده .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لمح في عيني معاذ رضي الله عنه الرغبة في معرفة المزيد ، فأتى له بمثال يبين حقيقة هذا الدين ويصوره ، وقم بين يدي هذا المثل تشويقا ، فقال : **(ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟)** .

لقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام بالرأس ، لأن الرأس إذا ذهب : ذهب معه الحياة ، فكذلك إذا ذهب إسلام المرء : ذهب دينه .

وفي قوله : **(وعموده الصلاة)** تشبيه للصلاة بالعمود الذي لا تقوم الخيمة إلا به ، ووجه ذلك : أن الصلاة هي أعظم أركان الإسلام العملية التي يتصل بها العبد بربه ، وهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، وكذلك فإنها من أوضح الشعائر التي تميز المسلم عن غيره ؛ لهذا حظيت بهذه المنزلة ، وتلك المكانة .

ولما كان الجهاد سببا في ظهور الإسلام ، وعاملا من عوامل انتشار هذا الدين ؛ شبه النبي صلى الله عليه وسلم مكانته بذروة سنام الجمل ، ولئن كان الجمل متميزا بذروة سنامه ، فإن هذا الدين متميز بالجهاد ، ولا يخفى على المسلم فضل الجهاد وأجره ، وحسبنا أن نستحضر حديث النبي صلى الله عليه وسلم : **(مقام أحدكم يعني في سبيل الله خير من عبادة أحدكم في أهله ستين سنة ، أما تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلون الجنة ؟ جاهدوا في سبيل الله . من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)** رواه أحمد .

ثم أرشد النبي صلى الله عليه وسلم معاذ رضي الله عنه إلى ما يحصل به إحكام الدين وإتقانه ، ليجعل ذلك خاتمة وصيته له ، لقد أرشده إلى مراقبة لسانه والمحافظة على منطقه ، وما ذلك إلا لشديد أثره وخطر أمره ، كيف لا ؟ وهو الباب إلى كثير من المعاصي ، فهو السبيل إلى كلمة الكفر ، والقول على الله بغير علم ، وشهادة الزور ، والكذب والغيبة والنميمة ، فلا ينبغي التهاون في شأن هذه الجارحة أو التقليل من خطورتها .

فحفظ اللسان هو عنوان الفلاح ، وطريق السلامة من الإثم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم بتحذيره من خطر اللسان ، يدعونا إلى تسخيره في مجالات الخير والمعروف ، وميادين الذكر والإصلاح ، حتى يكتب للمرء النجاة ، وذلك هو غاية ما يتمناه المرء .